مدخل لدراسة الفلسفة الإسلامية

تأليف

ليون جوتيه

ترجمه وعلق عليه

محمد يوسف موسى

المدخل لدراسة الفلسفة الإسلامية

الفكرة التي أقام عليها المؤلف كتابه، هي أن الفلسفة الإغريقية تُعتبر أسمى ما وصلت إليه العقلية الآرية في التفكير؛ وأن الإسلام هو خير ما خلفت العقلية السامية للإنسانية من تراث وأنضج ثمراتها؛ وأن بين هاتين العقليتين تعارضًا، حادًا حينًا وغير حاد حينًا آخر في جميع مظاهر الحياة من أدناها إلى أعلاها؛ وأنه من أجل هذا كان الخلاف بين الفلسفة الإغريقية، التي قامت عليها فلسفة الفلاسفة المسلمين، وبين الدين الإسلامي؛ فالكتاب يلقي الضوء على ما كان يحيط بالفلاسفة المسلمين من أحوال وملابسات عند معالجة المسائل ذات الطابع الفلسفي، وكيفية التوفيق بين الفلسفة الإغريقية التي تخصصوا فيها، والدين الإسلامي الذي نشأوا على اعتقاده. وهو العمل الذي تركز فيه وفي سبيله فلسفة فلاسفة الإسلام، وتساءل كثير من دارسي الفلسفة الإسلامية عن بواعثه وأسبابه، والذي نجده مشتركًا بين كل هؤلاء الفلاسفة من غير استثناء.

المؤلف هو الدكتور والأستاذ «ليون جُوتييه» أحد المستشرقين الفرنسيين المعروفين، الذين نشروا بعض تراث فلاسفة الإسلام وترجموا شيئًا منه إلى الفرنسية، وأحد الذين نفذوا إلى حد كبير إلى الروح أو العقلية الإسلامية وتعمقوا في دراستها.

المحتويات

الموضوع	الصفحة
الإهداء	٧
تصدير	٩
مقدمة المترجم	١٣
مقدمة المؤلف	٢٣
الباب الأول: العقلية السامية والعربية، والعقلية الآرية	٢٥
الباب الثاني: الفلسفة الإغريقية	١٠٧
الباب الثالث: الدين الإسلامي	١٣٧
النتيجة العامة	١٦٧
ملحق	١٦٩
الفصل الأول	**١٧٣**
الفصل الثاني	**١٨١**
الفصل الثالث	**١٨٧**
النتيجة	١٨٨
تعليقات	١٩٢

عينة للقراءة

الإهـداء

إلىٰ روح أبي الكريم الذي لم أره، وإن أورثني بعض خلائقه وخلاله الطيبة.

وإلىٰ روح الأم التي كانت لي الصدر الحنون، والإرادة الحازمة، والعقل الموجّه لكل ما هو خير وحسن وجميل . . .

والتي أعرضت عن مشاعر العاطفة واستمعت لنداء العقل والواجب، فوافقت مسرورة صابرة علىٰ سفري إلىٰ فرنسا لاستكمال دراستي عام (١٩٣٨م) . . .

والتي لم تنعم برؤية أول عمل لي كان نتيجة مباشرة لدراستي الغربية . . .

والتي كانت لي كل شيء، وبفقدها فقدت كل ما يرىٰ الغير فيه لذة وسعادة . . .

أقدم هذا العمل الصغير، لعلّهما ينعمان به وهما في أعلىٰ عليين، مع الأنبياء والشهداء والصديقين والصالحين، وحسن أولئك رفيقا.

ابنكما البار

محمد

عين للقراءة

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

تصدير

بقلم أستاذنا الكبير حضرة صاحب المعالي والفضيلة
الشيخ مصطفىٰ عبد الرازق باشا

عينة للقراءة

لقد كانت الترجمة -وما تزال- دعامة من دعائم النهضات الفكرية والثقافية للشعوب، وبالترجمة بدأت النهضة الثقافية في عصور الإسلام الأولىٰ؛ إذ أدرك الخلفاء المسلمون حاجة الأمم إلىٰ استتمام غذائها الفكري من كل سبيل، فتدفقت إلىٰ النهر العربي وديان من مختلف الثقافات العالمية، وظهر من بينها هذا اللون العربي الإسلامي علىٰ خير ما يكون الاستواء.

وعندما نهضت أوروبا من سباتها، ونفضت الكرىٰ عن عيونها، رأت أن أقوم وسيلة لانتعاشها أن تنحو نحو الترجمة، فاندفع الناقلون يترجمون أمهات الكتب اللاتينية واليونانية، وتناولت أيديهم وأقلامهم، كذلك أصول الكتب العربية التي عملت علىٰ ازدهار الثقافة الأوربية الحديثة.

وحين أسفر فجر هذه النهضة المصرية، وأدرك رجل مصر الحديثة رأس الأسرة المالكة محمد علي باشا، ما للترجمة من أثر فعال في

إنعاش البلاد وإحيائها، هداه نظره الثاقب إلىٰ إرسال البعوث العلمية إلىٰ أوروبا، لنقل معارف الأوربيين وثقافتهم إلىٰ مصر باللغة العربية، فأرسل ثلاث بعوث علمية في أزمنة مختلفة، كونت ثلاث طبقات من العلماء والأطباء والضباط والمهندسين، فنقلوا إلىٰ العربية مئات من الكتب في العلوم والمعارف المختلفة. ولقد كان لذلك -بلا ريب- أثره الملموس في اللغة العربية والثقافة العربية.

ومما هو قَمِن بالذكر أن كل المدد الذي استمده محمد علي باشا لتلك البعوث لم يكن إلا من الأزهر، تلك الجامعة التي نشرت النور والمعرفة في أرجاء العالم الشرقي. وكان من أظهر هؤلاء الأزهريين وأبعدهم صوتًا، المرحوم رفاعة بك الطهطاوي، الذي عهد إليه برياسة الطلبة المبعوثين إلىٰ باريس، فقام بهذه المهمة خير قيام، واتصل في فرنسا برجلين عظيمين هما المسيو جومار[١] والبارون ده ساسي[٢]، فأفاد من صحبتهما خيرًا كثيرًا، واستقدمه محمد علي إلىٰ مصر في سنة (١٢٤٦هـ) وعينه مترجمًا في مدرسة طرة، ثم وكل إليه إدارة مدرسة الألسن ووضع نظام لها، وكان لتلك المدرسة فضل في نبوغ جماعة من فحول المترجمين.

وكان المرحوم رفاعة بك بطبعه ميالًا إلىٰ الترجمة، فعرب مدة إقامته بباريس وبعد رجوعه منها كثيرًا من الكتب والرسائل؛ منها تعريب قانون التجارة، وتعريب القانون المدني الفرنسي، ورسالة المعادن،

(١) Jomard.

(٢) Sylvestre de say.

عينة للقراءة

والمنطق وهو ترجمة لكتاب دومرسيه، وهندسة ساسير، وغيرها، حتىٰ ليقال إنه ترجم بنفسه وبإشرافه ما يربو علىٰ ستمائة كتاب.

علىٰ أن هذه النهضة التعريبية التي كان زعيمها رفاعة بك، سرعان ما سلط علىٰ دوحتها أعاصير من جو السياسة عبثت بأصولها، وأصابتها بما أوقف نموها واطرادها، وهي بين الفينة والأخرىٰ ما تزال بين النماء والذبول، إلىٰ أن استقر أمرها في وقتنا الحاضر بما نرجو له دوام الاطراد والتقدم والتحرر، بفضل جهود العاملين علىٰ رفع مستوىٰ الثقافة من رجال العلم ورجال الحكم.

لقد خطر لي أن أتحدث عن رفاعة بك هذا الحديث الذي أسجل به فضله وسبقه، عندما أردت أن أقدم هذا السفر النفيس الذي وضعه المستشرق الفرنسي الأستاذ جُوتْييه، وقام بترجمته الأستاذ الشيخ محمد يوسف موسىٰ. لقد سرني أن يصل هذا الأستاذ الأزهري ما بين ماضي رجال الأزهر وحاضرهم في تعريب الثقافات الأوربية، التي نحن في أشد الحاجة إليها وإلىٰ من يحسن نقلها، وأعجبني أن ينهض الأستاذ بإكمال ما بدأ به رفاعة بك. وعسىٰ أن يكون فيما أدرك من نجاح وتوفيق في تعريب هذا الكتاب حافز له ولأمثاله من نابهي رجال الأزهر، علىٰ إتمام تلك السلسلة التي صاغ حلقتها الأولىٰ سلفهم الكريم.

إني إذ أهنئ الأستاذ بإخراج هذا الكتاب في ثوب عربي فائق، لأهنئه أيضًا بحسن اختياره للموضوع؛ إذ أن كتاب الأستاذ جوتييه هذا يعدّ من الكتب ذوات الخطر في دراسة الفلسفة الإسلامية.

عينة للقراءة

ولقد كان من حسن حظ هذا الكتاب أن يجد من أبناء العربية رجلًا فاضلًا مثل الأستاذ المعرب، له من الإلمام الواسع بالعلوم الفلسفية ما مكنه من أن يحسن عمله، فيستحق منا ومن قراء العربية شكرًا موفورًا.

أول مارس سنة (١٩٤٥م)
مصطفىٰ عبد الرازق

عينة للقراءة

مقدمة المترجم

أحمد الله حمد الشاكر الملتمس المزيد من عونه وتوفيقه، وأصلي وأسلم علىٰ محمد خاتم أنبيائه ورسله.

*** الحاجة إلىٰ الترجمة:**

وبعد؛ فأني منذ بدأت في الدراسات الفلسفية، وأخذت في قرأءة كتابات الغربيين في تاريخ الفلسفة عامة وفي الفلسفة الإسلامية خاصة، أيقنت أن حاجة الشرق في هذه الأيام هي في ترجمة عيون ما كتب أولئك الغربيون لا في التأليف، وزاد في إيماني بهذا الرأي ما نراه من أن قصارىٰ أكثر من تصدىٰ للتأليف في هذه الناحية من نواحي العلم العام أن يعمد إلىٰ ما كتب باللغات الأجنبية، فيترجم منه ما يريد، ويصوغه كما يشاء، ثم ينسبه إلىٰ نفسه، ولا يزيد عن ذلك شيئًا له خطر!

وقد أحس الأزهر الرسمي هذه الحاجة منذ سنوات، وكان مظهر ذلك تأليف لجنة من خيرة أساتذة الكليات الذين جمعوا بين ثقافة الإسلام وثقافة أوروبا، واجتماعُها مرتين تحت رياسة فضيلة الأستاذ الأكبر الشيخ المراغي الذي أرسل الصوت عاليًا بإصلاح الأزهر ونهضته من جديد، وصدورُ قرار من المجلس الأعلىٰ يبين ما نيط بكّلٍ

من الأعضاء ترجمته من اللغة الفرنسية أو الإنجليزية أو الألمانية، وكنت من الأعضاء الذين تقرر أن يناط بهم الترجمة في الفلسفة وتاريخها من اللغة الفرنسية.

ومضت الأيام، لكن اللجنة لعوامل مختلفة لم تتمكن من القيام بمهمّها الجليل، ففات الأزهر لذلك خير كثير ونشاط علمي كان حريًا أن يدفعه إلىٰ الأمام ويعينه علىٰ أداء رسالته خير أداء.

لكنني، وأنا أومن الإيمان الحق بما رأيت من أن الترجمة خير ما كتبه الغربيون، وبخاصة في العلوم الإسلامية والفلسفة والتاريخ، تعتبر فرضًا علىٰ القادر من رجال الأزهر وغير الأزهر، ليكون مما يترجم مادة صالحة لتعمل فيها العقول بالفهم والنقد، وعامل من عوامل النهضة والسير إلىٰ الأمام -لكنني، وأنا أومن بهذا كله، رأيت أن أقوم بما يجب عليّ في هذا السبيل بجهد الضعيف المقلّ، وكان من نتيجة مجهود سنوات مضت في تعب وعناء وبحث وتنقير هذا الكتاب الذي أقدمه اليوم للقراء، والذي شجعني علىٰ ترجمته ونشره معالي الأستاذ الكبير الشيخ مصطفىٰ عبد الرازق باشا.

عينة للقراءة

*** فكرة المدخل:**

هذا، والكتاب كما نعلم مدخل لدراسة الفلسفة الإسلامية، وفكرة تقديم «مدخل» بين يدي المقصود الأصلي للمؤلف نجدها في تاريخ الفكر والتأليف في العصر القديم والمتوسط والحديث، ونستطيع أن نذكر من مظاهرها في الفلسفة:

(١) المدخل إلىٰ المعقولات.

(٢) المدخل إلىٰ مقولات أرسطو طاليس، أو إيساغوجي.

وكلاهما من عمل فورفويوس الصوري، وقد كان الثاني أسعد حظًا مما جعل مدخلًا أو مقدمة له، إذ تناوله الناس بالدراسة قديمًا، ولا يزال بأيدي طلاب المنطق حتىٰ هذه الأيام.

(٣) المدخل في علم الفلسفة؛ وهو لأبي الفرج علي بن الحسين بن هِنْدُو أحد النابغة في الجزء الجنوبي من فارس بتشجيع حكامه من أمراء بني بُوَيه ومن وزر لهم كابن العميد وابن عباد. وأبو الفرج هذا كان فيلسوفًا أديبًا، ألف في الطب وفي الفلسفة، وله من الكتب «الكلم الروحانية» وهي مجموعة لطيفة من الحكم اليونانية[1].

(٤) ما ينبغي أن يُتعلّم قبل فلسفة أرسطو، وهو للفارابي. وقد جمع فيه المعلم الثاني ما يجب أن يُقدّم قبل الاشتغال بدراسة فلسفة أرسطو، وذلك في رأيه تسعة أشياء؛ منها معرفة الفرق الفلسفية، ومعرفة غرض أرسطو في كل واحد من كتبه، ومعرفة الغالية التي يُقصد إليها في تعلم الفلسفة، ومعرفة نوع كلام أرسطو وكيف يستعمله في كل واحد من كتبه، ومعرفة السبب الذي دعا أرسطو إلىٰ الإغماض في كتبه، ومعرفة الحال التي يجب أن يكون عليها الرجل الذي تؤخذ عنه الفلسفة.

(٥) المدخل إلىٰ الفلسفة للأستاذ الألماني أُزْفلد كُولْيه، وقد ترجمه إلىٰ العربية الدكتور أبو العلا عفيفي.

---

(١) عن كتاب «ظهر الإسلام» للأستاذ أحمد أمين بك، (١/ ٢٥١).

(٦) تمهيد لتاريخ الفلسفة الإسلامية لمعالي الأستاذ مصطفىٰ عبد الرازق باشا، وقد ظهر في أواخر عام (١٩٤٤م).

*** الكتاب والمؤلف:**

ومؤلف الكتاب وهو الدكتور والأستاذ «ليون جُوتْييه»، أحد المستشرقين الفرنسيين المعروفين، الذي نشروا بعض تراث فلاسفة الإسلام وترجموا شيئًا منه إلىٰ الفرنسية، وأحد الذين نفذوا إلىٰ حد كبير إلىٰ الروح أو العقلية الإسلامية وتعمقوا في دراستها. ولذلك رأيت أن من الخير تقديم هذا الكتاب إلىٰ الذين يُعنَوْن بدراسة الفلسفة الإسلامية، ليكون الطريق أمامهم مُعَّبدَا واضحًا، فيسيروا إلىٰ الغاية من غير زَيْغ أو التواء.

والفكرة التي هيمنت علىٰ المؤلف وقام عليها عمله، هي أن الفلسفة الإغريقية، وهي الأساس للفلسفة الإسلامية، تُعتبر أسمىٰ ما وصلت إليه العقلية الآرية في التفكير؛ وأن الإسلام هو خير ما خلّفت العقلية الساميّة للإنسانية من تراث وأنضجُ ثمراتها؛ وأن بين هاتين العقليتين تعارضًا، حادًّا حينًا وغير حاد حينًا آخر، في جميع ما تعارفنا عليه من نظم وعادات وتقاليد: من طرائق في الأكل وألوانه، والزيارات وربط العلاقات الاجتماعية، واللغة، والفن، والتفكير، أي في جميع مظاهر الحياة من أدناها إلىٰ أعلاها؛ وأنه من أجل هذا كان الخلافُ بين الفلسفة الإغريقية، التي قامت عليها فلسفة الفلاسفة المسلمين، وبين الدين الإسلامي؛ وأنه من هذا أيضًا كان أنضجُ ثمار تفكير الفلاسفة المسلمين هو العمل علىٰ التوفيق بين هذين الطرفين المتعارضين. هذا

العمل الذي تركّز فيه وفي سبيله فلسفة فلاسفة الإسلام، وتساءل كثير من دارسي الفلسفة الإسلامية عن بواعثه وأسبابه، والذي نجده مشتركًا بين كل هؤلاء الفلاسفة من غير استثناء.

لهذه العوامل كلها قسم المؤلف الكتاب إلىٰ ثلاثة فصول، وجعل بعدها ملحقًا. ففي الفصل الأول تحدث عن العقلية السامية والعقلية الآرية، وفي الثاني عن الفلسفة الإغريقية، وفي الثالث عن الدين الإسلامي. وهو في هذين الفصلين، الثاني والثالث، كان يُعني برسم الخطوط البارزة، وتوضيح المميزات والخصائص الهامة، وبيان المشاكل الأساسية. أما الملحق فقد ضمنه موجزًا لأهم محاولات الفلاسفة المسلمين التوفيق بين الفلسفة الإغريقية والإسلام، وهي محاولة ابن رشد فيلسوف الأندلس الأشهر.

عبقة للقراءة

*** سامية وآرية:**

علىٰ أن الكتاب لأستاذ غير مسلم، وإن كان قد عرف الإسلام وثقافته؛ ففيه -كما في أمثاله- من الآراء، ما قد لا نوافق عليه، ولذلك عنيت بالتعليق والرد علىٰ ما أرىٰ ضرورة الرد عليه من تلك الآراء، وتركت الأمر في بعضها الذي لا خطر له للقراء. وإن كان المؤلف هو الذي يحمل وحده تبعة ما يصدع به من آراء، والناقل بمناجاة منها ما لم يوافق عليها.

لكن هناك فكرة ملكت تفكير المؤلف، وجعلته يخصص قسمًا كبيرًا من الكتاب لبيانها والتدليل علىٰ وجهة نظره فيها، وهي فكرة «السامية والآرية» وما تدعو إليه من اختلاف الساميين والآريين -كما

يقول دعاتها- في التفكير وطرائق الحياة، اختلافًا سببه السامية والآرية كما يرون. هذه الفكرة، التي ستواجهنا أول الكتاب، تدعونا إلىٰ أن نذكر كلمة تعتبر تعليقًا علىٰ رأي الأستاذ المؤلف فيها.

لقد نشأت فكرة «الجنس الآري» في السنوات الأولىٰ من القرن التاسع عشر من جراء بحوث لغوية دقيقة، لكنها ذاعت وانتشرت بعد ذلك لعوامل مختلفة قد يكون من أهمها العامل السياسي الذي يعمل علىٰ تصنيف الشعوب بجعلها أجناسًا بعضها دون بعض بحكم فطرته وتكوينه. وكان الفيلسوف الفرنسي (رينان)[١] أول من قرر أن الجنس السامي دون الجنس الآري مرتبة من ناحية المشاعر والعاطفة والروح والعقلية والتفكير، وذلك أنه يقول في كتابه «تاريخ اللغات السامية»[٢]:

«أنا إذًا أول من عرف أن الجنس السامي، إذا قوبل بالجنس الهندي الأوروبي، يعتبر حقًا تركيبًا أدنىٰ للطبيعة الإنسانية . . .».

وجاء بعد (رنان) آخرون تأثروا به في هذا الرأي ما بين غال ومعتدل، حتىٰ كان أخيرًا الأستاذ «جوتييه»، فقد ذهب مذهبه وإن تناول بالتعديل ما ذهب إليه سلفه الكبير في شأن خصائص الجنس السامي بصفة عامة. كما أن كثيرًا من الكتاب المسلمين والعرب تناولوا هذه الفكرة بالبحث والتمحيص، ليبينوا أنها لا تقوم علىٰ سند صحيح من

(١) Renan.

(٢) *Histoire générale et système comparé des langues sémiti-ques*, paris, T.I.P.4-5.

العلم، مستدلين بآراء كثير من الباحثين الغربيين أنفسهم. ومن هؤلاء الكتاب الأستاذ أبو خلدون ساطع الحصري.

تناول الأستاذ هذه الفكرة، وبين أصلها، وعنىٰ بدحضها، مستندًا إلىٰ ما أورد من أسانيد، وانتهىٰ بتقرير «أن إرجاع الفروق التي تشاهد بين سجايا الأقوام إلىٰ اختلافات أجناسها وعروقها، والقولَ بأن الأجناس الفطرية يمتاز بعضها عن بعض بأوصاف فطرية وراثية، مما لا يقره العلم الحديث بوجه من الوجوه»[١].

وفي ذلك، كما يذكر الأستاذ أبو خلدون، يرىٰ الباحث الاجتماعي الشهير (نوفيكوف) أن التعليل بطبيعة الجنس يعتبر كمعطف نلجأ إليه لنستر به جهلنا لحقائق الأشياء وكسلنا عن تحري الأسباب[٢].

ويقرر المفكر الاجتماعي الآخر (تارد)[٣] أننا إذا رجعنا إلىٰ ماضي الأمم العظيمة الماجدة اليوم، وجدنا أنها كانت ضعيفة ومحرومة من قوة الإقدام؛ وبعكس ذلك الأمم التي نراها الآن في حالة انحطاط، كانت مثالًا للبطولة وممتازة بروح الإقدام والمغامرة. ومعنىٰ هذا أن خلال الأمم وسجاياها تتغير بتغير أطوارها التاريخية[٤].

علىٰ أن ذلك ليس معناه أخيرًا أن الأجناس والأمم البشرية لا تختلف فيما بينها في شيء، بل إنها لتختلف وتختلف كثيرًا في

---

(١) «آراء وأحاديث في الوطنية والقومية»، طبع القاهرة عام (١٩٤٤م)، (ص/ ٦٢).

(٢) نفس الكتاب (ص/ ٦٢).

(٣) Tarde.

(٤) نفسه (ص/ ٦٣).

المشاعر والعواطف والتفكير، ولكن ذلك لا يصح أن نرجعه -فحسب- إلىٰ طبيعة الجنس وفطرته، بل لعوامل مختلفة يستطيع أن يعرفها من يدرس آثار العوامل الإقليمية والتاريخ والاجتماع.

تلك إشارة خفيفة أردنا بها الرد علىٰ ما أطال فيه المؤلف من فكرة السامية والآرية، التي أقحمت إقحامًا في الكلام علىٰ الفلسفة الإسلامية، والتي زالت حدتها في هذا القرن العشرين في عالم التأليف؛ وإن كانت لا تزال مستقرة في نفوس كثيرين من الغربيين، بل ومن الشرقيين أيضًا.

*** الترجمة وعناؤها:**

هذا هو الكتاب وكاتبه. أما نقله إلىٰ اللغة العربية فقد التزمت فيه الترجمة الحرفية «لأنها هي وحدها اللازمة لنقل الكتب العلمية وعلىٰ الخصوص كتب الفلسفة»، كما ذكر صاحب السعادة الأستاذ أحمد لطفي السيد باشا في تصديره لترجمة كتاب أرسطوطاليس في الأخلاق، وكما يرىٰ غيره من العلماء الأمناء الأكفاء. ومع هذا فقد حرصت كل الحرص، بعد الدقة التامة في أداء ما يريد المؤلف، علىٰ سلامة الأسلوب وحسن البيان.

هذا، وإني لأعلم، كما يعلم كل من زاول الترجمة، أن الاحسان في نقل كتاب من لغة إلىٰ أخرىٰ يقتضي إجادة اللغتين وفقه الموضوع الذي يترجم فيه. وفي هذا الكتاب نفسه نرىٰ المؤلف يتكلم في نواح لا أحسنها، مثل فن العمارة وعلم الموسيقىٰ والغناء؛

عينة للقراءة

كما تكلم عن المسيحية، وعقائدها وصلاتها بالفلسفة الإغريقية. لذلك رأيت، طلبًا مني لإجادة النقل والعمل، الاتصال بأولىٰ الذكر في هذه النواحي والفنون.

*** شكر وتقدير:**

وعليّ في هذا السبيل أن أتقدم بخالص الشكر وكبير التقدير إلىٰ الأستاذين الفاضلين الدكتور زكي محمد حسن والدكتور بشر فارس، وإلىٰ الأب «قنواتي» العالم الفاضل الذي زاد في التفضل فترجم ما بالكتاب من نصوص وتعابير كثيرة بغير اللغة الفرنسية، فلهم جميعًا أفضل ما أستطيع من شكر وتقدير.

أما أستاذي الكبير صاحب المعالي الشيخ مصطفىٰ عبد الرازق باشا فله مني، ومن كل من سعد بالاتصال به في سبيل العلم، كل إجلال وشكر، وعلىٰ ما لقيت وألقىٰ من لدنه من عناية وتقدير لكل ما أكتب تأليفًا وترجمة. كما أشكر شكرًا خالصًا لمعاليه علىٰ ما تفضل به من التصدير القيم، الذي قدم به الكتاب ومؤلفه ومترجمة، وعلىٰ ما أولاني من ثناء وتقدير لا أراني أهلا له كله.

وكذلك أتقدم بخالص الشكر لحضرة العلامة صاحب العزة الأستاذ الكبير الدكتور طه حسين بك؛ فقد كان من تقديره للكتاب واعتباره من الدراسات الفلسفية الجديدة القيمة، ومن حسن ظنه بالمترجم، أن تفضل مشكورًا من العلم وأهله وطلابه، بالمساعدة التي يسرت لي نشره في هذه الأيام الشداد.

عين للقراءة

وأخيرًا، أحب أن يسمح لي معالي أستاذنا الكبير بأن أختم هذه الكلمة بما ختم به -في تواضع كبير نبيل- كتابه القيم، وهو «تمهيد لتاريخ الفلسفة الإسلامية»، فأقول كما قال: «وأرجو أن يكون في هذه الصفحات عون لباحث أو فائدة لقارئ»، كما أرجو أن يكون هذا العمل بداية طيبة لأعمال أخرىٰ من نوعه، إن مدّ الله في العمر وأدام نعمة العون والتوفيق، وأن يُحبِّب إلىٰ رجال الأزهر والجامعة التعاون في سبيل العلم وإعلاء شأن الدراسات الفلسفية.

الروضة في
(جماد الأول سنة ١٣٦٤هـ=مايو سنة ١٩٤٥م)

عينة للقراءة

مقدمة المؤلف

هذا البحث هو مجموعة المحاضرات التي ألقيناها عام (١٩٠٧-١٩٠٨م) بمدرسة الآداب العليا بالجزائر، وهي المدرسة التي صارت كلية بعد ذلك التاريخ، وكان العنوان الذي جعلناه لهذه المحاضرات هو: «الفلاسفة المسلمون والإسلام». علىٰ أن الجانب الغالب من المسائل التي تناولناها هنا بالدراسة، كان قد عولج من قبل في دروس الأعوام السابقة منذ عام (١٨٩٩م). وقد ظل هذا البحث مخطوطًا زمنًا طويلًا، إذ كان مُعدًّا للطبع منذ عام (١٩٠٩م)، ولولا ظروف حالت دون نشره لظهر منذ ذلك العام. واليوم -نحن نقدمه للنشر- نقدمه من غير تعديل، ولذلك وقفنا بالمراجع عند هذا التاريخ.

ونعتقد مع هذا أن ذلك الأرجاء لم ينل قط من أهمية هذه الدراسة واتفاقها وسير العلم والبحث إلىٰ هذه الأيام، بل حري بنا أن نعتقد أن الأمر بالعكس، وهو أن هذه الدراسة تجد فيما جدَّ من البحوث والدراسات سندًا وتأييدًا. ولا عجب! فإن موضوعها هو البحث عن خاصة أو طابع مميز للعقلية الساميّة بالنسبة للعبقرية الآرية، وعلىٰ الأخص العبقرية العربية بالنسبة إلىٰ العبقرية الإغريقية، لنستطيع أن نلقىٰ الضوء علىٰ ما كان يحيط بالفلاسفة المسلمين من أحوال وملابسات عند معالجة المسائل ذات الطابع الفلسفي، وبخاصة المسألة

التي كانت تُعدّ في المكان الأول أهمية وخطرًا في بيئتهم؛ وهي التوفيق بين الفلسفة الإغريقية التي تخصصوا فيها، والدين الإسلامي الذي نشأوا علىٰ اعتقاده.

وهذا الأمر ظل علىٰ ما كان عليه منذ عام (١٩٠٩م)، ولذلك لا نعدّ متأخرين إذا ما رأينا نشر هذا الكتاب هذه الأيام بعد ظهور المؤلفات القيمة التي وضعها علماء الاجتماع الأعلام؛ أمثال دُورْ كايم، وليفي بْرِيهْل، وكورْنْفُورد[١]. هذه المؤلفات التي بينت فكرة «التكوينات العقلية»[٢] التي كانت، بصفة عامة، مجهولة أو غير معترف بها، في الحين الذي كتب فيه هذا الكتاب.

عينة للقراءة

(١) Durkheim, Lévy-Bruhl et Cormford.

(٢) "Structures Mentales".

ملحق

نظرية ابن رشد والفلاسفة المسلمين في التوفيق بين الدين والفلسفة.

مُقَدِّمَة

* وضع المسألة:

لقد نسجت أسطورة عجيبة حول اسم ابن رشد في خلال العصور الوسطىٰ المسيحية. فحوالي سنة (١٣٠٠م) أصبح فيلسوف قرطبة، شارح أرسطو في نظر فلاسفتنا المدرسيين، زعيم الزندقة والإلحاد التام، والمهاجم لجميع الديانات الموحاة.

وقد حاول (رنان) في كتابه المعروف «ابن رشد ومذهبه»[١]، وهو رسالة دكتوراه في الآداب سنة (١٨٥٢م)، هدم هذه الأسطورة التي نشأت عن سلسلة من الفهم السيئ السقيم، لكنها ظلت قائمة حتىٰ أيامنا هذه، ومن العجيب أن (رنان) نفسه لم ينجح النجاح التام في التخلص من الرأي الواهم[٢] الذي أخذ علىٰ عاتقه هدمه.

---

(١) Averroès, l, averroïsme.

(٢) le préjugé.

عينة للقراءة

النتيجة

والنتيجة هي أن مؤرخي الفلسفة الإسلامية جميعًا قد خلطوا، ولكل وجهته التي ذهب إليها، أمر الموقف الديني الحقيقي لابن رشد ولسائر فلاسفة الإسلام؛ وخلطوا من أجل هذا في أمر الروح الحقيقية لهذه الفلسفة التي نرىٰ معقد الطرافة فيها هو نظرية التوفيق بين الدين والفلسفة موضع بحثنا الآن.

= للمسلمين في كل الفروع النظرية تقريبًا. إنه كان كلما وجدت مذاهب مختلفة أو متعارضة، وجدت مذاهب متوسطة تحاول التوفيق بينها وتصل بين ما تباعد منها، والتاريخ قديمة وحديثه شاهد صدق علىٰ ما نقول.

ففي علم الكلام -مثلًا- نجد مذهب الأشعري وسطًا بين مذهب السلف القائم علىٰ التسليم بما جاء به القرآن والحديث من غير تعرض لتأويله تأويلًا عقليًا، ومذهب المعتزلة الذي يقوم علىٰ التأويل.

وفي الفقه والتشريع نجد مذهب مالك يقوم علىٰ الحديث، والمذهب الحنفي يقوم علىٰ الرأي والاجتهاد العقلي، وكان مذهب الشافعي وسطًا بين هذين الطرفين؛ فلم يؤخر الاستدلال بالحديث أحيانًا عن الرأي والقياس كما في المذهب الحنفي، ولم يهمل القياس كما أهمله تقريبًا مذهب مالك إذ جعله في المرتبة الأخيرة من الاستدلال، ولهذا يعتبر تقريب الشافعي بين هذين المذهبين وانتخاب ما رآه الحق في كليهما هو أوضح ظاهرة في مدرسته. ويتبين هذا كله بالرجوع للكتب التي تضمنت أصول هذه المذاهب كما هو معروف، وإلىٰ غيرها كمقدمة ابن خلدون.

وفي الفلسفة نجد محاولة الفارابي التوفيق بين أفلاطون وأرسطو، كما نجد أن من مميزات المشائين العرب بصفة عامة نزعة التوفيق بين كثير من المذاهب الفلسفية السابقة.

ومن الحق أيضًا، بعد ما تقدم كله، أن نقرر أنَّ الفلاسفة المسلمين التزموا في هذه الناحية، ناحية التوفيق بين الدين والفلسفة، طريقة واحدة، وإن اختلفوا في التفاصيل بعد اتفاقهم علىٰ الأصول؛ كما أنهم تأثروا في ذلك بالفلاسفة الإغريق، الذين واجهوا نفس المشكلة واضطروا إلىٰ معالجتها وحلها. (المترجم).

عينة للقراءة

تعليقات

هذه كلمات موجزة أردت بها الرد علىٰ آراء نثرها المؤلف في تضاعيف كلامه، خاصة بالإسلام وفكرة الإله فيه، والعلاقة بين الله والإنسان، إلىٰ نحو ذلك من الشئون، وهي آراء أرىٰ أنها لا تتفق والحقيقة، ورأيت أن الرد عليها -ولو بإيجاز- أثناء ورودها في البحث مما يزيد الهوامش ويستجلب ملل القارئ. لذلك رأيت أن أجعلها في هذا المكان، فضلًا عما سبق من تعليقات أخرىٰ في هوامش متعددة، وعن مسألة السامية والآرية التي علقت عليها بالتفصيل في المقدمة.

(١) ذكر المؤلف أن الإسلام مظهر من مظاهر العقلية العربية، مَثَلُه مثل مظاهرها المتعددة، أو هو «التعبير التام عن العبقرية العربية» (ص/ ٩٥)، وأن الإله كما جاء في الإسلام هو «الإله الذي يوحي فكرته» النظرُ إلىٰ الصحراء التي لا تدرك نهايتها، والتي ينالها تغيرات مخيفة غير قابلة للتفسير، وصفاته الجوهرية المميزة هي الوحدانية والقدرة وأنه لا يدرك. (ص/ ١٦٠).

وواضح أن المؤلف يرمي بهذا إلىٰ أن الإسلام دين محلي وعربي، وليس دينًا عالميًا، فهو لذلك لا يعبر إلا عن العقلية أو الروح العربية، ولا نظن رأيًا أبعد من هذا عن الحق!

لقد جاء الإسلام بعد أن ظهر الفساد في البر والبحر، وفي العالم كله: شرقه وغربه، وعربه وعجمه؛ فكان حقًا رحمة للعالمين جميعًا، وإنه في ذلك يقول الفرآن: «وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين»؛ ويقول: «وما أرسلناك إلا كافة للناس بشيرًا ونذيرًا»؛ وكان من الحق لهذا أن